

# أوراق التفاوض في محادثات التسوية

انتصرت إسرائيل على العرب عندما استخدم العرب في حروبهم مع إسرائيل السلاح الذي تتفوق به عليهم، أي التكنولوجيا الحربية الحديثة، وانتصر العرب على إسرائيل عندما قرروا أن يستخدموا في مواجهتها السلاح الذي يتفوقون به عليها، أي الإنسان المدجج بالإيمان وروح التضحية والفداء.

هكذا ذاق العرب طعم النصر على إسرائيل مرتين: يوم المقاومة في لبنان ويوم الانتفاضة في فلسطين. لولا المقاومة الباسلة لما خرج الإسرائيلي من لبنان من دون قيد أو شرط، حتى من دون أن يخلف وراءه علماً يرفرف فوق سفارة. ولولا الانتفاضة المباركة لما سلّمت إسرائيل بمبدأ السلام ولما كان مؤتمر مدريد ولما بقيت قضية القدس حيّة.

قلنا في الماضي أن المفاوضات الفلسطينية فقّدت بعد أوصلو كل الأوراق التي كانت في يده للمفاوضة. فبات الفلسطيني في محادثاته مع الإسرائيلي يطالب ولا يفاوض. ذلك لأن المفاوضات تقتضي تنازل كل طرف عن أوراق يملكها في مقابل الحصول على ما يطالب به. كان في يد المفاوضات الفلسطينية قبل أوصلو ثلاث أوراق على الأقل هي: الاعتراف بإسرائيل، الميثاق الوطني في النص الذي يدعو إلى القضاء على إسرائيل، والانتفاضة. أما بعد أوصلو، فقد اعترف الفلسطيني بإسرائيل، وعدل الميثاق الوطني فألغى النص الذي كان يهدد الكيان الصهيوني، وأخمدت المقاومة. فلم يعد في يد الفلسطيني ما يقدمه في مقابل ما يطالب به، فتحول من مفاوض إلى مطالب.

قلنا ذلك في الماضي. أما اليوم، بعد تجدد الانتفاضة المباركة في الأيام الأخيرة ذوداً عن الحق العربي في القدس، فقد استعاد الجانب الفلسطيني في المواجهة مع العدو الإسرائيلي ورقة هامة، هي الانتفاضة. ونحن نقول إن الفلسطيني، إذ قرر إعادة إشعال الانتفاضة في وجه العدو الصهيوني، إنما قرر الانتصار. فسلح الانتفاضة هو السلاح الذي يتفوق به العربي على الإسرائيلي، هو الإنسان المؤمن بحقه والمتسلح بروح التضحية والفداء.

درجنا على التمييز بين التسوية والسلام، وقلنا إن ما تمّ الاتفاق عليه مع إسرائيل على الجبهة المصرية كما على الجبهة الأردنية، وما سيجري التفاوض عليه على الجبهتين اللبنانية والسورية يوماً من الأيام، إنما هو من قبيل التسوية وليس السلام.

فالتسوية هي اتفاق على وقف الحرب، أما السلام فيقترب بالاستقرار، ولن يكون استقرار في المنطقة، مهما تعددت اتفاقات التسوية، ما لم تحل قضايا أساسية حلاً عادلاً، ومنها قضية القدس وقضية اللاجئين الفلسطينيين انطلاقاً من حقهم في العودة، والإقرار بحق الفلسطيني في تقرير مصيره. وقد جاء تجدد الانتفاضة المباركة مؤخراً ليشهد على أن لا استقرار في المنطقة من غير حلّ عادل لقضية القدس على قاعدة استعادة عروبتها.

يبقى أن أعيد على مسامعكم ما سبق لي أن أدليت به في غير مناسبة: وهو أن الاتفاقات التي تُعقد مع إسرائيل في ظل الظروف السائدة إنما هي اتفاقات غير شرعية وغير مشروعة، وستبقى تالياً عرضة للطعن في سلامتها من قبل الأجيال العربية المقبلة.

نقول إن هذه الاتفاقات غير شرعية، بمعنى أن الشرعية الحقيقية تستمد من إرادة الشعوب، ولا سبيل للشعوب للتعبير عن إرادتها الحرة سوى الديمقراطية. فأين هي الديمقراطية في الوطن العربي الممتد من المحيط إلى الخليج؟ وفي غياب الديمقراطية كيف يمكن القول إن الاتفاقات المعقودة مع العدو الإسرائيلي تعبر عن حقيقة إرادة الشعوب العربية؟

وهذه الاتفاقات هي أيضاً غير مشروعة، بمعنى أنها تعقد بين قوى غير متكافئة. فالتفوق العسكري الإسرائيلي على العرب، ودعم الدول العظمى للدولة العبرية دعماً غير محدود عسكرياً ومالياً وسياسياً ودبلوماسياً، من شأنهما أن يجعل أي اتفاق بين العرب وإسرائيل بمثابة العقد الموقع تحت التهديد، تحت فوهة البندقية، ومثل هذا العقد لا يُعتد به في مبادئ القانون، ويبقى مطعوناً في صدقيته.

إننا نبارك للشعب الفلسطيني المناضل انتفاضته المتجددة، ونحيي فيه روح التضحية والفداء في الدفاع عن حقوقه المشروعة، وندعو الأمة العربية، شعوباً ودولاً، إلى دعم الشعب العربي الفلسطيني في نضاله وجهاده. وأول ترجمة لمثل هذا الدعم لا تكون إلا بقطع العلاقات الدبلوماسية وكل أشكال التبادل مع إسرائيل ومقاطعة إسرائيل على أوسع نطاق اقتصادياً. فهل سنكون، نحن العرب، على هذا المستوى من التحدي؟

في افتتاح الاجتماعات المشتركة للمؤتمرين القومي العربي والإسلامي، بيروت في ١٥/٩/٢٠٠٠